العمل الموجّه الثاني:
دراسة نصّ لــ: محمود سامي البارودي

من هو سامي البارودي:

محمود سامي البارودي هو شاعر مصري ولد عام 1839 وتوفي عام 1904، وهو يعد رائد مدرسة الإحياء والبعث في الشعر العربي الحديث. انتمى إلى هذه المدرسة لأنه كان أول من قام بإحياء الشعر العربي بعد فترة من الجمود والضعف، حيث أعاد الشعر العربي إلى سابق عهده من القوة والبهاء من خلال محاكاة الشعراء القدماء من الجاهليين والعباسيين وغيرهم بأسلوب حديث متجدد.

انتماؤه لمدرسة الإحياء الشعري يعود إلى التزامه بنظم الشعر العربي القديم من حيث الأوزان والقوافي، واهتمامه بالصور الشعرية البيانية، واستعادته للأغراض الشعرية التقليدية من مدح، ورثاء، وغزل، وهجاء، لكنه أدخل عليها روحاً جديدة وحيوية، معبرا عن نفس العصر والتجارب الشخصية الاجتماعية والسياسية التي عاشها. كان البارودي شاعر السيف والقلم، لأنه جمع بين النشاط الشعري والنضال السياسي، وكان له أثر كبير في تقليد وتبني هذا النهج من قبل شعراء آخرين كأحمد شوقي وحافظ إبراهيم.

أبيات مختارة من قصيدة «**كفى بمقامي في سرنديب غربة**» للشاعر محمود سامي البارودي:

كفى بمقامي في سرنديب غربة — نزعت بها عني ثياب العلائق
ومن رام نيل العز فليصطبر على — لقاء المنايا واقتحام المضايق
فإن تكن الأيام رنَّقْن مشربي — وثلَّمْن حدي بالخُطُوب الطوارق
فما غيّرتني محنة عن خليقتي — ولا حولتني خُدعة عن طرائقي
ولكنني باقٍ على ما يسرني — ويُغضب أعدائي ويُرضي أصادقي
فحسرةُ بُعدي عن حبيبٍ مُصادق — كفرحة بُعدي عن عدو مُمَاذِق
فتلك بهذي والنجاة غنيمة — من الناس، والدنيا مكيدة حاذق
ألا أيها الزاري عليَّ بجهله — ولم يدر أني دُرة في المفارق
تعز عن العلياء باللؤم واعتزل — فإن العلا ليست بلغو المناطق
فما أنا ممن تقبل الضيم نفسه — ويرضى بما يرضى به كل مائق
إذا المرء لم ينهض بما فيه مجدُه — قضى وهو كَلٌّ في خُدُور العوائق
وأي حياةٍ إنْ تنكرَتْ له — الحال لم يعقد سيُور المناطق

فما قذفاتُ العِز إلا لماجد إذا هَمَّ جلّى عزمه كل غاسق
يقول أناس إنني ثرت خالعاً وتلك هَنَّات لم تكن من خلائقي
ولكنني ناديت بالعدل طالباً رضا الله واستنهضْتُ أهل الحقائق
أمرتُ بمعروف وأنكرْتُ مُنكَراً وذلك حكمٌ في رقاب الخلائق

سبب نظم هذه القصيدة؟

نظم البارودي هذه القصيدة «كفى بمقامي في سرنديب غربة» أثناء نفيه إلى جزيرة سرنديب (سريلانكا حالياً وتقع في المحيط الهندي) بسبب مواقفه السياسية الوطنية ضد الاحتلال البريطاني في مصر في أواخر القرن التاسع عشر. كان هذا النفي نتيجة لمشاركته في المقاومة السياسية، فكانت القصيدة تعبيراً عن معاناته من الغربة والبعد عن وطنه وأهله وأحبائه، لكنها في الوقت ذاته تأكيد على صبره وثباته على المبادئ والقيم بالرغم من المحن. تتناول القصيدة مشاعر الشاعر الإنسانية الحقيقية في مواجهة الظلم، والحنين لوطنه، والتمسك بالعزة، وهو ما يجعلها نموذجاً شعرياً للحديث عن المنفى والصبر والكرامة.

أسئلة حول النصّ:

السؤال 1: ما مظاهر انتماء قصيدة «كفى بمقامي في سرنديب غربة» إلى مدرسة الإحياء الشعري؟ القصيدة تتميز بالالتزام بالقصيدة التقليدية من حيث الوزن والقافية، مع استحضار الموضوعات التقليدية مثل الغربة، الصبر، الحزن، والاشتياق للوطن. البارودي يستعيد صور الشعر القديم كالليل والدموع والنجوم، ويستخدم لغة شعرية بيانية عالية، مما يعكس حرصه على إحياء روح الشعر العربي القديم والتقاليد الملتزمة دون تحريف جوهري. هذا يعبر عن وعيه بأن إحياء الشعر لا يعني تقليداً أعمى بل استعادة بناء قائمة على الأصالة.

السؤال 2: كيف يظهر البارودي التجديد في هذه القصيدة رغم تمسكه بعناصر الشعر القديم؟ التجديد يظهر في إدماج البارودي لعناوين معاصرة مثل تجربة المنفى السياسي في سرنديب، مما يضفي أبعاداً نفسية وإنسانية واقعية على النص. كما أنه يعبر عن مشاعره الشخصية بصدق وعمق، ويبرز النزعة الإنسانية في مواجهة قسوة الحياة باعتبارها اختباراً لصبر الإنسان، متجاوزاً مجرد التمجيد والتقليد. هذا الدمج بين القديم والحديث يجعل القصيدة معاصرة تجسد أزمة الشاعر في زمنه.

السؤال 3: في أي جوانب تتجلى قوة التعبير لدى البارودي في هذه القصيدة لتعبر عن المدرسة الإحيائية؟

تتجلى قوة التعبير في قدرته على المزج بين الصور التقليدية والحديثة مثل وصف الغربة كخلع "ثياب العلائق"، واستخدام الصبر كقيمة محورية، والتركيز على المشاعر الداخلية المكبوتة مثل "لهيب في الحشى" بدلاً من البكاء المباشر، ما يعطي القصيدة عمقاً نفسياً واستبطاناً فريداً. كما يتميز باستخدامه أسلوب البلاغة البيانية القائم على التشبيه، الاستعارة، والجناس مما يعكس عناية البارودي بالتشكيل البلاغي للنص.

السؤال 4: ما الجديد في مضامين القصيدة مقارنة بالشعر القديم؟

القصيدة تحتفي بمفهوم الغربة على المستوى النفسي والوجودي، وهو تجدد في موضوعات القصيدة الشعرية التي كانت تقليدياً تعتمد على الغربة الجغرافية أو النفي فقط، هنا الغربة تجربة داخلية عميقة متصلة بمحنة الإنسان السياسي والاجتماعي. كذلك يطرح البارودي موضوع الصبر ليس فقط كقوة خارجية بل كقوة ذاتية وعاطفية تتحكم في التوازن النفسي للإنسان في مواجهة الحياة.